بصفتهم الطلائع لتحقيق نهضة المجتمع

اكتشاف المواهب.. الحاجة مطلوبة

تحقيق/ وديع العبسي

اهتمت العديد من الدراسات والأبحاث بمسألة التأهيل واكتشاف المواهب والمبدعين والمتفوقين ومن يمتلكون قدرا من المميزات التي تؤهلهم لاستلام دفة الإنتاج النوعي ورفد الواقع بالإضافات الجديدة.. كما نفذت أيضا في هذا السياق العديد من المؤتمرات الوطنية ربما أبرزها «مؤتمر الطفولة اليمني» الذي عنى كثيرا بالمواهب والمتفوقين.. من حيث دراسة الواقع وحاجات العمل لهذا الغرض.

ربما هناك محاولات لاستيعاب هذا المطلب على صعيد المؤسسات التربوية القائمة وأعني كثيرا وزارة التربية والتعليم التي أنشأت إدارة خاصة باكتشاف ورعاية المبدعين والمتفوقين.. وحاجتنا كبيرة لرعاية واكتشاف النوابغ والقدرات الاستثنائية، وواقعنا غني بمثلها وقد أعلمتنا السنوات الماضية بالكثير منها.. ماتت حينما لم تجد الرعاية الكافية والمتواصلة.

تؤكد البحوث والدراسات أن هناك نسبة ما بين ٢- ٥٪ من الناس يمثلون المتفوقين والموهوبين وهم الذين يبرز من بينهم العلماء والمفكرون والمخترعون الذين اعتمدت الإنسانية منذ أقدم عصورها في تقدمها الحضاري على ما تنتجه أفكارهم وعقولهم ويعدون في كل مجتمع الثروة الوطنية التي اعتمدت عليها في تقدمه وازدهاره حسب أحد خبراء علم القياس والإحصاء التربوي.

ولذلك فإن اهتمام المجتمعات برعاية الموهوبين والمبدعين هو أمر نابع من هذه الحقائق التي تؤكد حاجة تنمية الحياة بالخلاصات الفكرية والإبداعية لتطويرها ومد الإنسان بأسباب السعادة والاستقرار في ممارسة هذه الحياة باعتبار أن الإنسان هو المنتج والمستفيد فهو الثروة البشرية التي تقوم عليها الأمم والأوطان.

يرى الباحث والأكاديمي الدكتور محمد إبراهيم الصانع في بحثه حول "معرفة خصائص الموهوبين باعتبار ذلك من أولويات التربويين" بان المتفوقين والمبدعين والموهوبين يأتون في مقدمة وطليعة الثروة البشرية التي تحقق لأي مجتمع من المجتمعات نهضتها وتقدمها باعتبار هذه الطليعة حسب الدكتور الصانع "هي التي تتولى مواجهة تحديات العصر بما يمثله من تغييرات علمية وتكنولوجية ومعلوماتية هائلة ومن ذلك المنطلق فإن العديد من دول العالم أصبحت تولي تلك الثروة البشرية اهتماما ووضعها ضمن أولويات اهتماماتها لأن في ذلك ضمان أفضل لتقدم تلك الدول والمجتمعات، ومما تقدم فإن الجهد الكبير والمسؤولية الكبيرة تقع على عاتق الأنظمة التعليمية المختلفة ليس في اكتشاف المبدعين والموهوبين والنابغة منهم وإنما في كيفية رعايتهم واحتضانهم وتقديم كافة المتطلبات لهم لتسهيل إبداعاتهم ومخترعاتهم وابتكاراتهم في مختلف المجالات العلمية والتكنولوجية والتنموية".

طبعا الواضح من قراءة واقع هذا الشأن في خارطتنا العربية بشكل عام وباستثناء بعض المحاولات لا نجد مؤشرات واضحة عن تقمص الإخلاص في توجيه الاهتمام والإمكانيات لهذا العمل ليس فقط على صعيد اكتشاف المواهب إنما وفي وضع برامج تختص بتأهيل كوادر متخصصة يمكن لها القيام بهذا الدور الاستكشافي.

- مسئولية التربية والتعليم لا يسقطها عن المجتمع المدني
- وضع برامج تختص بتأهيل كوادر متخصصة لاكتشاف المواهب

تربية الموهوبين

تبلورت في السنوات الأخيرة عدة أهداف للعملية التربوية من أهمها الأهداف المعرفية التي جاء في مقدمتها تربية الموهوبين أو تنمية التفكير الإبداعي وأصبح من مهام المدرسة الحديثة في جميع مراحل التعليم تطوير أنشطتها الصفية واللاصفية من أجل الكشف عن الموهوبين في مختلف المجالات وتنمية التفكير الإبداعي لديهم.. وتواصل مقدمة إحدى الدراسات التي عنت بالبحث في المشكلات والمعالجات للموهوبين في مدارس التعليم الأساسي بأن دور المدرسة الحديثة في رعاية الموهوبين وتنمية قدراتهم في البلاد العربية عموما وفي مجتمعنا اليمني خصوصا تواجهه صعوبات عديدة من شأنها إضعاف هذا الدور لعل أبرزها سيطرة الاتجاهات التربوية التقليدية التي يقتصر فيها دور المدرسة على التحصيل الدراسي وإن كان الأمر لا يخلو من بعض الجهود في مجال الرعاية والاهتمام بالموهوبين إلا أنها ما تزال جهودا محدودة بحاجة إلى المزيد من الدعم والتشجيع والتأطير المنهجي العلمي، ومن المهم أن نعي بأن مسؤولية رعاية الموهوبين كعملية تربوية معرفية مستمرة لا تقتصر على دور المدرسة فقط وإنما تتكامل فيها مجموعة من الأدوار أبرزها الأسرة باعتبارها النواة الأولى والخلية الأساسية في المجتمع ونقطة الانطلاق في تشكيل الشخصية الاجتماعية السليمة كما تذهب الدراسة.

وتشير نتائج الدراسات السابقة إلى أن المتفوقين يتميزون بصفات وخصائص مميزة لهم عن زملائهم العاديين في نفس أعمارهم مثل ؟ الثقة بالنفس والمرونة والقدرة على الإقناع والمثابرة، سرعة التعلم والطموح والحساسية الشديدة لالتقاط المنبهات الجديدة، القدرة على حل المشكلات التي تعترضهم والميل إلى التساؤل والاستكشاف والبحث وحب الاستطلاع والمغامرة كما يميل إلى تأكيد الذات والاستقلالية والاعتماد على النفس والتحرر من القيود والاندفاعية والعدوانية والسيطرة والتلقائية في تفاعله مع الآخرين دون الاهتمام كثيرا بنقص الآخرين وبالسلطة والقوانين، كما إن المتفوقين بشكل عام يحتاجون إلى خدمات وأنشطة تختلف عن تلك المقدمة للعاديين بحيث تساعدهم على تنمية قدراتهم إلى أقصى حد ممكن ويمكن الاستفادة من هذه الخصائص في الاسترشاد بها للكشف الميداني والتعرف على المتفوقين من قبل المعلمين المتخصصين بالأنشطة المختلفة.

ومثل هذه الخلاصات التي تنتهي إليها الدراسات والأبحاث المهتمة من الأحرى الأخذ بها كمرجعيات وروافد تعين على بلورة رؤى أكيدة وطرائق عمل تساعد في توفير أجواء ومناخات العمل بأريحية كبيرة في هذا الجانب.

العنصر الأساسي

وتؤكد الأبحاث بأنه "ضمن عناصر البيئة التعليمية التي تساعد على رعاية التفوق وتنميته يبرز المعلم بقوة كعنصر أساسي وفعال نظرا لقربه المباشر من الطالب المتفوق ولتأثيره المتوقع عليه والمنبثق من أدواره المتعددة التي يتوقع أن يؤديها مع طلابه ولهذا فمن المهم التعرف على الخصائص الأساسية المطلوب توافرها في معلم المتفوقين" يرى البعض أن من أهمها التفوق في الذكاء ونضوج الشخصية وسعة الإطلاع والخبرة والدافع القوي للتدريس والتعرض للتدريب.. بينما خلصت دراسة ميدانية ومن وجهة نظر عينة من الطلاب المتفوقين إلى أن من هذه الخصائص تناسب طريقة شرح المدرس مع قدراتهم واحترامه لآراء التلاميذ بشكل عام وأن يكون متميزا بالكفاءة ولا يعاقب التلميذ الذي يسأل أسئلة غير متوقعة وأن يعمد إلى مساعدته بعد انتهاء الحصة الدراسية.

والى ذلك أيضا تحدد دراسات بأن يتمتع المدرس بمعرفة متعمقة ومتطورة في مجال التخصص أو المادة التي يدرسها تعتمد على الخبرة والتمكن من أساليب التدريس وطرقه، الجمع بين صفة المعلم وصفة الباحث، القدرة على تقبل الغرابة والأصالة والتنوع في استجابات الطلبة الذين يميلون بطبيعتهم إلى رؤية الأشياء من زوايا مختلفة، القدرة على إدخال المهارات العقلية في العملية التعليمية، ومعرفة كيفية تعليم الإبداع وطرق البحث العلمي وتنميته.

الخطوة الأولى

إذا كانت الطموحات تنشد سبر الأفق إلى مستويات مريحة تمد بأسباب الرضى والقناعة بما يشهده واقع الحال فإن ذلك ما لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تفعيل جانب الإسهام في تنشيط أجواء التهيئة لخلق الواقع المدني الحديث من المؤسسات والكيانات المعنية، والشخصيات المهتمة والمتخصصة.. ولن يكون من اتجاه معين إلى ذلك أفضل من الاهتمام بتأهيل الكوادر والأخذ بيد القدرات وتمكينها من الإمساك بأسباب التحولات.

والتعليم هو الخطوة الأولى على هذا الطريق، كما التعليم ونسبة المبرزين هي من المؤشرات على التوجه العملي في التنمية البشرية وعلى رغبة البيئة والمحيط الاجتماعي لاستكشاف القدرات المميزة في أوساط الشباب والنشء ثم يترجم ذلك مقدار ما يبدو عليه مستوى هذا الاهتمام بالبحث.

الأمر في هذا السياق لا يقتصر فقط على الحكومة ومؤسسات الدولة الرسمية.. هناك المجتمع المدني الذي فيه من المؤسسات ما هي معنية بهذا الشأن إلا أن فعلها أو نشاطها يبدو في الخانة السالبة.. ربما لافتقارها إلى البرنامج العلمي الذي يسهل أمامها ترجمة القناعات إلى نشاط مدروس، وربما لشحة الإمكانيات مع ذلك فهي في كل الأحوال تظل مطالبة بكسر جمود واقعها إلى حيث القيام بنشاط يمنح لوجودها معنى.

ولأن الوطن وهو على طريق ترجمة التطلعات والطموحات التطويرية والتحديثية بحاجة إلى كل إسهام من شأنه تقريبه إلى الأهداف فإنه مطلوب من هذه المنظمات ومن الجميع تقديم رؤاهم في هذا الموضوع الذي يعني أبناءنا جميعا ومستقبلهم.